

فتديمننا الأصيل

« . . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار ،
وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما
وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل
من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من
ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال » .
ابن سلام
« طبقات الشعراء »

حين أحاول أن أستحدث قيماً جديدة للأدب العربي ، أجد من الضروري
أن أعود إلى قديم لنا بعيد ، لكي أستمد لأدبنا مفهوماً نابغاً من أصوله الثقية ،
وقيماً حرة لا ينكرها أدب العربية في جوهره الصافي وذوقه الأصيل . .
كثير منا يشفقون من مثل هذه العودة ، ويريدون لنا — بحسن نية — ألا نشغل
بماض عن حاضر ، وألا ننصرف عن حياتنا هذه التي نحياها ، إلى حياة قديمة
سلفت وانقضت .

ولست أقول هنا إن مثل هذا المذهب إثم وخطيئة ، فليس المجال مجال وعظ
خلقي ، لكنني أقول إن وعينا لذاتنا يقتضي حتماً أن نعرف ماضيها ، وإن حياتنا
اليوم لا يمكن أن تقوم إذا بترت منها أصولها . وإذا كانت دراسة التاريخ القديم
للأمة ، ضرورة لا يهون أن نتصور إمكان الاستغناء عنها ، فكذلك الأدب ؛
لا يجزئ واع على الزعم بإمكان الاستغناء عن معرفة قديمنا منه ، لا لكونه تسجيلاً
وجدانياً لتاريخنا فحسب ، ولكن — كذلك — لما له من أثر في تكوين ذوقنا
ووجداننا ، على مر العصور وتتابع الأجيال .

وقانون الوراثة هنا أشد سيطرة واحتكاماً منه في أي ميراث آخر ، إذ الأمر
فيه متصل بالشخصية الوجدانية التي تتكون لأمة على مر الزمان وتتلقاها الأجيال